**سابعا. المدرسة التوليدية التحويلية(نعوم تشومسكي)**

**توطئة**

زعيم المدرسة التوليدية التحويلية هو نعوم تشومسكي المولود في أمريكا في 1928م، ألف كتاب(التراكيب النحوية) الذي يُعدّ النواة الأولى لنظريته اللغوية(التوليدية التحويلية)، أكد فيه على استقلال علم اللغة على العلوم الأخرى في الدراسة على الرغم من الصلات التي تبدو بينه وبينها، قدم نقدا للمذهب السلوكي في علم اللغة وعلم النفس. يُعد تشومسكي أحد تلاميذ المدرسة التوزيعية(الهيكلية)، وقد وجهه زيليك هاريس كما سبقت الإشارة. فقد حاول تطبيق المنهج التوزيعي في الدراسات التي قام بها، لكنه وصل إلى قناعة مفادها أن التوزيعية منهج في التصنيف ليست أسلوبا صحيحا لفهم التركيب النحوي للجملة، وتبدو قاصرة عن تفسير كثير من العلاقات اللغوية بين الجمل التي تحمل المعنى نفسه، غير أنها تختلف خارجيا في تراكيبها، أو عكس هذه الوضعية. وقد حاول تشومسكي تدارك النقص الذي وجده عند التوزيعيين، فقدم كتابه(وجوه النظرية النحوية) عام 1957، وتوسعت النظرية وتطورت على يد تلاميذه ومساعدية ومنهم جاكندوف [[1]](#endnote-1)1.

اتخذ النحو مفهوما مغايرا لما كان عليه في المدرسة، فلم يعد هدفه تحديد المعايير التي تُمكِّن المتكلم من استعمال لغته الأم استعمالا سليما دون أخطاء، بل تحول إلى مجموعة قواعد كامنة في الذهن راسخة فيه مُكتسبة من محيطه الاجتماعي منذ طفولته، تُمكِّنه فيما بعد من تعلُّم لغات أخرى، ومن تركيب جمل جديدة لم يسمعها بعد، ومن ثمة أصبح النحوعند تشومسكي توليديا. والنحو عنده معرفة غير واعية بقواعد اللغة، مع القدرة على اكتشاف هذه القواعد ووصف اللغة بواسطته[[2]](#endnote-2)2. والنحو يتألف من ثلاثة أجزاء أو مقومات هي:

* **مقوم تركيبي:** يعني نظام القواعد التي تحدد الجملة المركبة على نحو متفق عليه في تلك اللغة.
* **مقوم دلالي:** ويتألف من نظام القواعد التي بها يتم تفسير الجملة المولَّدة من التراكيب النحوية.
* **مقوم صوتي:** ويعني نظام القواعد التي تنشئ كلاما مقطعا من الأصوات في جمل مولَّدة من التركيب النحوي. ويتضح عمل هذه المكونات من خلال المخطط -1- التالي:

المكون التركيبي

قواعد نسقية

بنية عميقة

تحويلات

مكون دلالي بنية سطحيةمكون فونولوجي

(تفسير دلالي)(تفسير صوتي)= بنية سطحية

**المخطط -1-**

حيث البنية العميقة في هذا النموذج تُعدّ أول مرحلة من عملية إنتاج الجملة، وتبدو على شكل مؤشر نسقي يحمل كل المعطيات الدلالية، أما البنية السطحية فهي آخر مرحلة من العملية الاشتقاقية، والتي تخضع بدورها للتفسير الفونولوجي، فنصل على إثرها إلى الشكل المادي للجملة.

فالوظيفة الأساسية للمكون التركيبي الإبداعي في المرحلة الأولى هي العمل على توليد عدد غير محدود من الجمل النحوية فقط، انطلاقا من عدد محصور من القواعد النسقية، وتحديد الفئات النحوية منها وكذا العلاقات التي تحكُم عناصرها. فالنحو التوليدي هو الذي تكون مهمته حصر الجمل النحوية طبقا للمعايير القاعدية للنظام اللغوي، والذي يوضح العلاقات التركيبية بكيفية دقيقة وشاملة. ثم يعمد تشومسكي بعد ذلك إلى المقارنة بين الأنحاء الثلاث( نحو الحالات، نحو المكونات، النحو النسقي التحويلي) ضمن مدونة وتقييمها، لاختيار النحو الملائم والكفيل بتوليد اللانهائي من الجمل النحوية. وهذه الوظيفة التقويمية هي ما يميز النحو التوليدي التحويلي عن الاتجاه البنيوي الذي يكتفي باستخراج النظام اللغوي للوحدات الكلامية ضمن مدونة محدودة وبطريقة وصفية تصنيفية [[3]](#endnote-3)3.

**1. مفاهيم الدراسة**

**1-1 مفهوم التوليد:**

من أهم المفاتيح التي جاءت بها النظرية التوليدية التحويلية، ويقصد به القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل انطلاقا من العدد المحصور من القواعد في كل لغة يتم استيعابها، ومن خلالها يكون التمييز بين سليم الجمل من خطإها نحويا. والتوليد ليس هو الإنتاج المادي للجمل بقدر ما هو القدرة على التمييز بين ماهو نحوي من غيره، وإقصاء الثاني من المجال اللساني. وتتخذ قواعد اللغة شكلا رياضيا يتجلى من خلال مجموعة من الرموز المتوالية تدعى قواعد إعادة الكتابة (les règles réécritures) ، حيث تعاد كتابة كل رمز من اليمين إلى اليسار بالتدرج حتى يتوصل إلى آخر سلسلة من الرموز التجريدية التي لا تقبل الاشتقاق. فإذا كانت الجملة تتكون من ركنين: اسمي وفعلي، فإن توليدها يتم على النحو الآتي:

ج م س + م إ

م س م ف

م إ م إ س

م ف ج ف + ز

ج ف ذهب

ز ماض

م إ س تع + اس تع ال اس رجل

وقد قام النحو التوليدي التحويلي بتعويض هذه الصياغة الرياضية بشجرة، بحيث إن كل عقدة منها تمثل مؤلفا مباشرا، ويتوالى تشجير هذه المؤلفات حتى يتحصل على آخر الوحدات الكلامية التي لا يمكن توليدها كما يوضحه المخطط -2- [[4]](#endnote-4)4:

ج

م س م إ

م ف م إ س

ف ز تع اس

ذهب ماض ال رجل

**المخطط – 2-**

1. **2 مفهوم التحويل:**

يقصد به في النحو التوليدي التغيُّرات التي يُدخلها المتكلِّم على النص، فينقل البنيات العميقة المولَّدة من أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام، بحيث تخضع إلى الصياغة الحرفية الناشئة عن التقطيع الصوتي، وتصبح بعد ذلك جملا منجزة بالفعل، دون الإخلال بالتأويل الدلالي الذي يجري على مستوى البنيات العميقة، فالتحويل عملية شكلية محضة تختص بتراكيب الجمل المولَّدة من أصل المعنى، وتتم على مرحلتين:

**الأولى:** بالتحويل البنيوي للسلسلة التركيبية لكي نعرف هل هي منسجمة مع تحويل معين.

**الثانية:** باستبدال بنية هذا التركيب بالزيادة أو بالحذف أو بتغيير الموضوع، أو بالإبدال، فنصل إلى سلسلة متتالية من التحويلات تتطابق مع البنية الخارجية [[5]](#endnote-5)5.

1. **مبادئ المدرسة التوليدية التحويلية**

**2-1 التمييز بين الكفاية والآداء:**

الكفاية Compétence هي قدرة فرد من أفراد اللغة على فهم تراكيب لغته وقواعدها، وقدرته من جانب نظري على تركيب وفهم عدد غير محدود من الجمل، وتمييز الصحيح من الخاطئ فيها. أما الآداء فيشمل الإنجاز اللغوي الفعلي لفظا أو كتابة. فالآداء هو الممارسة الفعلية والآنية للمتكلم الكفء، وقدرته على إخراج النظام اللغوي الضمني من حيزه اللاشعوري إلى الحيز الإدراكي الفعال في ظروف مادية متنوعة[[6]](#endnote-6)6. وهذا المبدأ يتبعه آخر من أهم ما تفكر فيه هذه المدرسة، هو:

**2-2 الإبداعية:**

هي توظيف لنظام اللغة توظيفا ابتكاريا تجديديا ليس مجرد تقليد لقواعدها، بل هي إنتاج لعدد غير محدود من الجمل انطلاقا من عدد محصور من الكلمات والقواعد الثابتة في ذهن المتكلم، فتوليد جمل لم يسبق له أن سمعها أو قرأها هو ميزة إبداعية تميز الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى، لأنه سلوك يُسقِط عنه صفة الآلية، والإبداعية نوعان:

* إبداعية تغير نظام اللغة، وتتسم بالسمات التي تشكل ملكة المتكلم ثقافيا وسلوكيا وفكريا وتميزه عن باقي الأفراد في إنجازه الخاص للكلام.
* إبداعية تحكمها قواعد اللغة وتوجهها، وتشكل الملكة الثابتة والأصل في الذهن وتكون نقطة الانطلاق التي يولد من خلالها عددا لانهائيا من الجمل[[7]](#endnote-7)7.

**2-3 التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية:**

وضع تشومسكي هذين المبدأين من أجل تيسير دراسة الجملة المنطوقة والمكتوبة، وفهم دلالتهما. والبنية العميقة هي التركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا، وهي التركيب المستتر الذي يحمل عناصر التفسير الدلالي. أما البنية السطحية فتتمثل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية، المنطوقة أوالمكتوبة، وهي التفسير الصوتي للجملة. يقول تشومسكي:(إن البنية العميقة هي السلسلة الناتجة عن المؤشر النسقي للقاعدة، والبنية السطحية تنتج من خلال تحويل هذه البنية العميقة بواسطة التحويلات إلى بنية سطحية). ومن ثمة يستنتج أن التمثيل الذهني المجرد ظاهرة مشتركة بين جميع البشر في جميع اللغات الإنسانية، لكونه انعكاسا مباشرا للتفكير فهو عالمي، أما البنية السطحية فهي متباينة بين الأشخاص بتباين اللغات وتنوعها. والقول بعالمية البنية العميقة واشتراكها ساعد على تطوير النحو، من خلال توجيه الاهتمام نحو وضع ودراسة أسس نحو عالمي تكون قواعده اللغوية واحدة وثابتة[[8]](#endnote-8)8.

**2-4 اعتبار الجملة الوحدة اللغوية الأساسية.**

**2-5 القواعد التحويلية:**

تفضي إلى جمل أصولية فقط، كما تحدد كل الجمل المحتملة في اللغة. وتنقسم إلى قسمين:

* اختيارية: مثل تحويل المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول.
* إجبارية: مثل وضع الحركات على نهاية الكلمات المعربة في اللغة العربية.

ومن أهم القواعد التحويلية نذكر:الحذف، التعويض، التمدد والتوسع، التقلص أو الاختصار، الإضافة أو الزيادة، إعادة الترتيب( التبادل، التقديم والتأخير).

**2-6 الإدراك اللغوي والقدرة اللغوية:**

تعتبر صفات إنسانية تكمن في النوع البشري وليست مكتسبة. ضف إلى ذلك مقدرة الحدس Intuition التي يمتاز بها الإنسان والتي يستطيع بواسطتها التمييز بين الجمل النحوية الصحيحة من الخاطئة، يطلق عليها بالحدس اللغوي ويستند إلى المعرفة الضمنية بقواعد للغة[[9]](#endnote-9)9.

1. 1 ينظر: السعيد شنوفة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص ص 110، 111. [↑](#endnote-ref-1)
2. 2 ينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص ص 40، 41. [↑](#endnote-ref-2)
3. 3 ينظر: المرجع نفسه، ص ص 73- 75. [↑](#endnote-ref-3)
4. 4 ينظر: المرجع نفسه، ص ص 41- 43. [↑](#endnote-ref-4)
5. 5 ينظر: محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي، دار الحكمة الجزائر، 2001، ص ص 80، 81. [↑](#endnote-ref-5)
6. 6 ينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص44. [↑](#endnote-ref-6)
7. 7 ينظر: المرجع نفسه، ص ص 47- 49. [↑](#endnote-ref-7)
8. 8 ينظر: المرجع نفسه، ص ص 52- 55. [↑](#endnote-ref-8)
9. 9 ينظر: المرجع نفسه ص 51. [↑](#endnote-ref-9)